قصص من الكويت

منى الشافعي

الأخرى

قبل أن أتلاشى وتَبْهت باقي خطوطي، فجأةً سمعتُ وقع خطواته، المتأنِّية دائماً، تقترب مني. الغريب أنَّني لم أنتبه إلى صوت صرير الباب العالي. يبدو أنَّني نسيت «رِتْمه»؛ فقد عشتُ وحدتي وانتظاري أكثرَ من شهر.

حين كان يتأمَّلني بصمته القاتل، حاولتُ أن أهدأ حتى لا تضيع ملامحي في سكونه. مضت أكثرُ من لحظة وهو مايزال يتأمَّل. تمدَّد حجمُ اللحظات. للمرَّة الثانية احتواني قلقُ الانتظار، لتلسعني برودةُ الوحدة. ثم لم أتبيَّن من ظهره غيرَ حركةِ يديه السريعتين وهما تَخْلطان الألوانَ.

في داخلي توزّعتْ فرحتي. أخذتُ أنْفض حباتِ الفرح، وأناقش جنيّاتِ الأفكار. غداً، سأبدو أجمل الجميلات: رائعةً بشعري الأسود الفاحم المتموِّج بعنفوانٍ فوق كتفيّ؛ وأما جمالُ عينيّ الداكنتين كظلمة مساءٍ رائق، فسيطفو فوق نقاوة بشرتي السمراء.

أوه.. يدي اليمنى لا تزال تؤلمني، لا أدري لماذا تَرَكها ناقصةً؟! لقد حدّدني بنصف يدي؛ حَشَرني بقوّة في رقعة كانڤاس لا تتَّسع، على كبر حجمها، لكلّ أحلامي وطموحاتي. لَحْظَتَها، لم يهتمّ لصراخي، الذي مزّق فراغَ المَرْسم حيث تناثرتْ على حيطانه بعضُ اللوحات الملطّخة بالألوان، والسكونِ المخيف، إلاّ مِنْ تردُّدِ أنفاسه الهادئة الرتيبة.

بخفّة، استدار نحوي. ضَرَبَ جسدي العاري بريشته الرشيقة التي أشعرتْني بدغدغةٍ تملأ فراغاتي.. أنستني نعومتُها احتجاجي ووجعي. ملهوفاً، راح يَدْلق اللونَ تلو اللون، بعجلة يمرّر سوادَ ريشته بين طيّات شعري الكثيف. وبعينَيْن حادّتَيْن جعل يتفرّسني.. كالنار تخترقني نظراتُه الحائرة. فجأةً يلسعني رفضُه، أُحسّ بضربات قلبه وهي تعاند ضرباتِ ريشته.. تَرْفض مزجَ ألوانه الداكنة.. يرتجف كرهاً لتكويني. بعصبيّة مجنونة يلتقط ريشةً ذاتَ شعيرات كثيفة، يَغْمسها بسائلٍ ما، وبقوةٍ يزيل جمالَ ألواني. يلتهب جسدي ألماً. يتركني مشوَّهةً إلاّ من خطوط سوداء باهتة لا تكاد تحدّد معالمي. أتوسّد ذراع الوجع. على وجعي، ترتاح رغبتُه، وبألقٍ ظاهرٍ يُشعل سيجارته.

ينتشر المساء، يهيمن بعتمته على المكان. السيجارة العاشرة ترتاح بين يديه، يَنْفثها أشكالاً شيطانيَّةً تتلولب في فضاء المرسم، تصلني باردةً خامدة، تموت بسلام تحت فراغات جسدي العاري إلاّ من رذاذ بقايا تلك الألوان. يرمي عقب سيجارته، يهرسه بقوّة تحت نعله.. يزفر.. ينهض.

* * *

بيده تشكيلةُ ألوانٍ جديدة. قبالتي يجلس بخبث. ضرباتٌ فنيَّة سريعة دقيقة تتساوق مع هدوئه وارتياحه، تغتال جسدي المنهك. تزداد ضرباتُ ريشته التماعاً فوق أطرافي، التي أخذت تَبْرق بياضاً. أخذتُ أنطفئ إحساساً كلَّما أشرقتْ ألوانُه بهجةً على جسدي. كدتُ أتمزّق وهو يَدْلق آخرَ ألوانه على شعري، الذي أصبح حريريّاً بفضل ضربات ريشته اللئيمة. آه.. يعذِّبني التماعُ اصفراره.

فجأةً، تفور نوبةُ جنونه. يلتقط ريشةً صغيرةً دقيقة، يَغْمسها بلون أزرق كبحرٍ تجرَّدَ من أمواجه، يَغْرزها بفرحة في فراغ عيني. يَنْقرني الوجع. وجعي يمتدّ ويكبر. لم أكن يوماً في خياله زرقاءَ العينين، شقراء الهوية؟!

وكقصيدة نثر حالمةٍ فقدتْ معانيها، لتتناثر كلماتُها هائمةً، ولتتمدّد تائهةً في نسيج الكانڤاس الحزين، تركني. وحين بكيتُ، تأمّلني، لتنحرف ضرباتُ ريشته الحاقدة. أصرخ. يحتبس صوتي بين شفتيَّ المزمومتين.. حينما حدّد معالم فمي تركه مغلقاً؟!.. ليكن!.. فإنَّ حزني أكبرُ من صراخٍ لحظة!

تعدَّدت الإيقاعاتُ المتنافرة بيننا. يَنْفث الفرح دخاناً من سجائره. تعتريني هزّةُ ظلم. يُكْمل بريشته زينتي. أمتلئ قهراً. يطفئ سيجارته ليشعل أخرى؛ ألتهب من الداخل. وبرغبة محمومة أبحث عن باقي خطوط يدي الناقصة، فأجدها مكبّلةً خلف ثنايا الزمن الراكض قربي. وقبل أن أبتهج وألملمها، يأتيني صوتُ خطواتٍ أنثويّةٍ رشيقة كالحلم.

تقترب تلك الخطواتُ إلى سمعي.. تصطدم عيناي المنطفئتان حزناً بجمال عينَيْها الداكنتَيْن. تقف مدهوشةً، تتأمّلني، تتحسَّس براحتَيْها الناعمتَيْن تعاريج جسدي، تبحث عن فرحتي الهاربة. تتكمّش ملامحُها الرائعة. يرتجف

قوامُها الرشيقُ تحت ثوبها. تتلفّت.. يَنْفر شعرها.. يتمرجح بجنون حولها. يرتبك صاحبي حين تصافح عيناه وجهَها الأسمرَ الثائرَ، قبل أن يتقدّم بخطواته مصعوقاً من وجودها، مرعوباً من نارية نظراتها. أفاجئه بيدي التي تكوّنتْ تمتد طويلةً عاليةً تمزّقُ رقعةَ الكانڤاس، وتفجّرُ الإطارَ الخشبيَّ المزخرف، ليتناثر جمراً حول جسده المرتجف.

أَنْطلق كالحمامة في فضاء المرسم، ليتعانق صوتي وصوتها، ولتخرج صرختُها معبأةً بالرفض والوجع، تصيح بجرأةٍ في وجهه الأصفر الذابل:

ـ مَنْ هذه الدمية؟!

قصص من الكويت

علي المسعودي

الوهم ذاته... بإحساس آخر

أَحْرص على أن أكون آخر الخارجين من مبنى مؤسَّستي الصغيرة. أدور في المكاتب التي فَرَغتْ.. أطفئ الأنوارَ، والأجهزةَ، ووحداتِ التكييف.

وأخيراً، ما قبل الخروج الأخير، أدير قطعةً حديديَّةً صغيرةً في القبضة الداخليَّة للباب الخارجيّ، ثمّ أصفقه ورائي بشيء من العنف. بذلك يكون قد قُفِل.

أحياناً. أُضطر إلى الخروج قبلاً، فأوصيهم بالإقفال الأخير.

من حقي فعلُ ذلك. فقد تعبتُ كثيراً في تشييد عملي هذا، وكوّنتُه قطعةً قطعةً.. كلُّ قطعة كانت من عرقي وأرقي.

ومن حقي عندما أُقفل البابَ الخارجيَّ أن أنسى العمل وهمومه، وأخرج للسهر، ثم أنام نومًا هادئاً.

فأيُّ فزع يَفْتك بي إثر هذا الحادث البسيط:

نهايةَ العمل المسائيّ، أدرتْ القطعةَ الحديديَّة، ثم صفقتُ الباب ليقفل، ولا أدري ما الذي دفعني إلى اختباره. دفعتُ الباب، فإذا به يُفتح!

أدرتُ القطعةَ الحديديَّةَ ثانيةً، وصفقتُ الباب.. ولم يُقفلْ.

كررتُ الفعل ذاته حتى مللتُ.

لا فائدة!

عليّ الاقتناع بالواقعة. وعليّ اكتشافُ الوهم الذي عشته ليالي وأياماً طوالاً.

حرصي وخروجي وراحتي ثم نومي.. كلُّها كانت كذبة.. لأنّ «القفل» كذبة.

فلأعشْها الليلةَ إذن. فما الفرق بين الآن والماضي؟

صفقتُ الباب ورائي ومضيتُ.

لم تعد لديّ رغبة في السهر.

وعيناي لم يطأهما نوم.

ولا أحسن بالأمان الليلة!

قصص من الكويت

حمد الحمد

عثمان.. وتقاسيم الزمان

مانشيت عريض بلونٍ أحمر ظَهَرَ على الصفحة الأولى بصحيفة **الشروق**، لا بدّ أن يكون قد شدَّ انتباه القرّاء في هذا الصباح الربيعيّ الجميل.

التَقَطَ الصحيفة، وراح يعيد قراءة الخبر المرّة تلو الأخرى. وضع نظارته جانباً، استرخى قليلاً. ردّد: «خبر غريب.. قد لا يصدّق». أشعل سيجارته ونفث دخانها.